الأخبار الذين شك العلماء فى رواياتهم وعلمهم بالشعر ، وبأنهم حملوا فى رواياتهم التاريخية سعراً موضوعاً كثيرا ، وقد اعترف هو نفسه بذلك فقال فى صراحة مرة : « لا علم لى بالشعر ، إنما أوتى به فأحمله » ، ففى هذا الكتاب نبرر مشكلة الشك فى هذا الشعر إلى أعلى درجاتها ، ولكننا مع ذلك لا نعدم أن نجد شعراً صحيحاً فى مصادر موثقة نطمئن إليها كالأصمعيات والحماسة والأغانى والعقد الفريد ، ولكن مما نؤسف له - مرة أخرى - أن الشعر الذى تورده هذه المصادر قليل بالنسبة لما تورده هذا الكتاب ، ومن هنا أصبح الاعتماد على هذا الشعر فى دراسة هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الشعر العربى فى حاجة شديدة إلى عملية تصفيه فاحصة وتوثيق دقيق حتى تتضح طبيعة هذه المرحلة ، وتكون النتائج والأحكام قائمة على أسس صحيحة ووثائق يقينية لا يحبط بها شك ولا يكتنفها اتهام لاعلى أساس واه من الرمال لا يلبث أن ينهار لدى أول عصفة رياح .

ومع ذلك فإن هذا القليل الصحيح الذى نطمئن إليه بعد عملية التصفية والتوثيق يبدو كافيا لرسم الخطوط العريضة للصورة التى كان عليها الشعر العربى فى هذه المرحلة المبكرة من حياته ، والكشف عن الألوان الأساسية التى اعتمد عليها هؤلاء الرواد الأوائل . لقد تجاوز الشعر مرحلة المقطوعة ، وأخذ الشعراء يطيلون فى مقطوعاتهم حتى استقامت لهم القصائد الطويلة بمقوماتها وتقاليدها وأصولها الأساسية ، كما أخذوا ينوعون فى أغراضها ، ويوصلون لها هذه الأغراض التى أصبحت هى الأغراض الاساسية فى الشعر العربى بعد ذلك ، ولم تعد تعبيراً عن حاجة عارضة أو مناسبة طارئة ، ومضوا يوفرون لها قيما فنية خرجت بها عن دائرة العفوية والتعبير المباشر إلى دائرة العمل الفنى الذى يدرك صاحبه أسراره وأصوله ، ويملك مفاتيحه التى يفتح بها كنوزه الثرية ، ليقيمه على الأسس الثابتة التى تعارف عليها الشعراء بعد